كتاب جديد

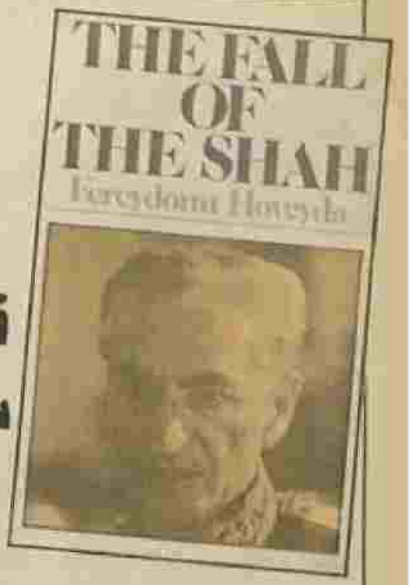

قصة سقوط الشاه

٢

أكتوبر

« بوصول الخميني إلى فرنسا واشتراك العمال في الثورة مستخدمين سلاح الإضراب بدأت الأرض تهتز بعنف تحت قوائم العرش الإمبراطوري .

نعم .. لقد أخذ الشاه نفسه يترنح فوق العرش . وبدأ لأول مرة سلسلة من التراجعات ، لن تنتهي إلا بخروجه من إيران كلها » .

الطريق إلى الهاوية

● المؤلف : فريدون هويدا لأخ الشاه ولأخ الخميني .

يرويها : فريدون هوفيدا

يقدمها : عبد العظيم حماد

كان أول هذه التراجعات ما أعلنه حكومة إمامي – بإيعاز من الشاه طبعا – من رفع للحظر على عودة المعارضين المنفيين في الخارج ، دون قيد أو شرط ، إلا احترام الدستور ، وعلى غير توقع سارع حزب واستاخيز إلى حل نفسه معلنا بذلك إفلاس سياسة الحكم الشاهانية ، ومسقطا إلى غير رجعة أحلام « الحضارة العظمى » التي كان عليه الوصول بالإيرانيين إليها ، وشعار « وحدة الشعب خلف التاج » الذي رفعه منذ تأسيسه حزبا وحيدا في البلاد

ولكن ذلك لم يجد قليلا . لأنه لم يرتبط بإعلان عودة الحكم الديمقراطي الكامل ، وإعادته إلى الثلاث من السامة ورجال الدين المعتدلين الذين يحظون باحترام الشعب . ولا يريدون إسقاط النظام الملكي برمته . فاستمرت الإضطرابات العمالية . واتسع نطاقها . بل أصبح العمال بالفعل جزءا من قوى الثورة . حين توالت مطالبهم من مجرد رفع الأجور إلى العفو عن المعتقلين وإطلاق الحريات .

هنا أيضا تراجع الشاه . ولكن كعادته . دون أن يرضي أحدا . فأعلن عفوا جزئيا عن المعتقلين بسبب المظاهرات الأخيرة . ولكن لم تكد تمضي ستة أيام على إعلان هذا العفو حتى اندلعت الاضطرابات مرة أخرى في همدان ومشهد وقم وكرمان . وخلال هذه الاضطرابات أحرق مسجد كرمان . وحمل الشعب السافاك تبعة هذه الجريمة مرة أخرى .

وكان اللقاء من الحرية الذي منحته حكومة شريف إمامي للصحافة قد بدأ يثير قبل الحرائق بإن تلك الأحداث . فحاولوا إعادة الرقابة على وسائل وأجهزة الإعلام . وهكذا بدلا من أن يسعى النظام إلى كسب تأييد الفئات التي ظلت ، ولو على الأقل ، على الحياد ، إذا به يسعى جاهدا لكسب عدائها . إذ لم يجد الصحفيون بدا من الاشتراك في الثورة عن طريق الإضراب العام

في تلك الأثناء أيضا احتدمت الصراعات بين أنصار الشاه المقربين . فزاهدي الأبن يخطط لإفشال سياسة الحكومة ، على أمل أن يحل محل إمامي ، وهو بنائج بهالموي السكرتير العام السابق للإمبراطورة ثم حزب واستاخيز ، يحاول إزاحة زاهدي وإمامي من طريقه . فيما استمرت مؤامرات الأمراء والأميرات . ولكي يوقف الشاه تدخلهم في شئون قرر نفي جميع أعضاء الأسرة المالكة إلى الخارج

وقد ارتبطت هذه الأحداث بتدفق معلومات مؤكدة عن قيام جميع أعضاء الطبقة الحاكمة ، وعلى رأسهم أعضاء أسرة بهلوي ، بتهريب أموالهم وما استطاعوا جمعه في اللحظات الأخيرة ، إلى الخارج . وساعدت هذه المعلومات على تغليب تيار المتطرفين على التيار المعتدل بين صفوف المعارضة . وفي هذا الجو راجت شائعات القول إن الغرب سحب تأييده للشاه بسبب الشائعة أخيرا بأن حكما إسلاميا قويا في إيران سيكون هو السد المنيع بين الشيوعية وبين الخليج . وبديهي أنه كان لهذه الشائعة مفعول السحر في شد أزر الثائرين .

الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون ملأ نفس الشاه بالغرور وشجعه على احتقار المعارضة

وهكذا بينما كانت الشاهبانو تتساءل في حسرة : لماذا لم يخرج مؤيدونا إلى الشارع مثلما فعل مؤيدو خوميني في الشانزليزيه عام ١٩٦٨ ؟ وبينما كانت تتلقى الجواب الساخر في مرارة : إنهم مستعدون لأن يفعلوا ذلك .. ولكن في الشانزليزيه وليس في طهران . كان الخميني في نوفل لوشاتو الضاحية الباريسية الأنيقة ، يعلن برنامجا سياسيا محددا لإقامة جمهورية إسلامية تحل محل امبراطورية آل بهلوي . إنها الثورة إذن . لقد تحول الرجل من زعيم ديني إلى رمز تلتف حوله جميع قوى الثورة الشعبية

إصلاح ناقص

لقد أخذ الشعب الإيراني مرة أخرى عهد العرش . الجميع وراء الخميني . الجيش واليسار . العمال والموظفون . التجار الصغار وكبار الرأسماليين . الفلاحون وسكان المدن . رجال الدين وعامة المثقفين . وهذه ظاهرة لم تحدث منذ أوائل الستينات . فما هي الأسباب يا ترى ؟

حقا كان الأمر مفاجأة لعالمية المراقبين الذين رأوا بإعجاب برامج الإصلاح الاجتماعي

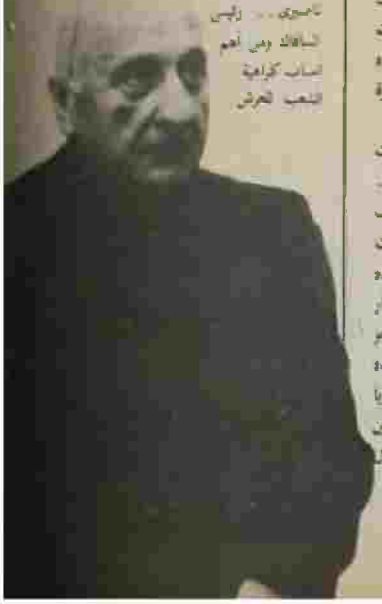

الجنرال نعمة الله نامجوي .. رئيس السافاك ومن أهم أسباب كراهية الشعب للعرش

● الأميرة أشرف ... تحول قبل الكلاب الضالة إلا بعد مقربها إلى الخارج

والاقتصادي الذي أعد الشاه بنفسها وبباشر تنفيذها بنفسه أيضا منذ ذلك التاريخ ، ألم ينجح الشاه أخيرا في القضاء على الإقطاع بكل مساوئه السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ألم يصبح الفلاح مالكا لأرضه لأول مرة في التاريخ الفارسي وتحررا من رابطة التبعية المرهقة لسيد الأرض ؟ أليس الشاه هو الذي ملك المهال ٤٠ من أسهم الشركات التي يعملون بها وضمن لهم نصيبا محميا من أرباحها ؟

أضف إلى كل ما تقدم التوسع في التعليم وإقامة المصانع الثقيلة ، وتصفية الوجود العسكري الأجنبي في إيران ، والانفتاح على الاتحاد السوفيتي الجار الخيف ، وبناء قوة عسكرية إيرانية مرهوبة الجانب ، لتكون مع الثالثين : إن كل شيء في صالح الشاه وها هي ذي بعض الأرقام التي تعزز هذا القول .

في سنة ١٩٧٧ كان وجه الحياة قد تغير كلية في إيران فإذا كان عليه حين بدأ الشاه إصلاحاته عام ١٩٦٣ . لقد أصبح ٦٥٪ من الإيرانيين يملكون مساكنهم . وأصبح متوسط الدخل الفردي ٢٢٠٠ دولار سنويا . وبلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية أكثر من مليون تلميذ . وانخفضت نسبة الأمية من ٨٥٪ إلى ٥٥٪ .

وكذلك انخفضت نسبة البترول في الدخل القومي الإجمالي إلى ٣٥٪ فقط . وذلك بسبب التوسع الزراعي الصناعي الذي كان أبعد ما يكون عن مساعة النجميع التي تعرفها معظم الدول النامية . لأن إيران كانت تصنع محليا ما يزيد على ٦٥٪ من مكونات مصنوعاتها النهائية . وبسبب المؤلف الفضل في كل تلك الإنجازات إلى شخصه أمير عباس هوفيدا الذي ظل يرأس حكومة ايران منذ ١٩٦٥ إلى ١٩٧٧ .

ولكن ذلك الإصلاح ، وتلك هي شواهده ، ظل ناقصا بسبب عدم إدراك الشاه لحقيقة بديهية هي أن أي تحسن في الظروف ، المادية ، لمجتمع من المجتمعات لابد أن يواكبه تحسن في الظروف السياسية . إذ كيف يشعر مجتمع ارتفعت فيه نسبة التعليم وارتفع فيه معدل الدخل . أن بمقدوره الحفاظ على توازنه دون قدر مواز من التقدم في طريق حرية التعبير ، ودون قدر مناسب من المشاركة في صنع القرار السياسي ؟ لقد كان ذلك هو بالضبط مقتل نظام الشاه ، وإن كان الأمر قد بدا حينما بدأت الاضطرابات في أوائل السبعينات على شكل هجمات فدائية قليلا للسيطرة عليه .

وربما كان ذلك الاطمئنان هو ما جعل الشاه يتعامى عن عمد وسبق إصرار عن معنى هذه الأحداث ، بحيث تحول الرجل الذي بدأ ملكا مستبدا في منتصف السبعينات إلى طاغية شديد القسوة في أوائل الثمانينات . لقد اعترف أحد ذات مرة بعد خروجه قرارا من اجتماع مع الشاه بأنه لم يعد يعرف ماذا حدث للإمبراطور . وقال بالحرف الواحد : إنه لم يعد يحاول حتى مجرد الاستماع إلى أحد . وإن المناقشات تدور كأنها فوق أعصابه .

السر الأعظم

لابد أن هناك سرا وراء تكوص الشاه عن طريق الإصلاح قبل أن يصل إلى نهايته . ولابد أن شيئا قد أعطاه الأمان حيث أصبح موقنا أن مجرد ترديد الشعب لصدى نداءات ومطالبات زعماء المعارضة ، فضلا عن نجاح هؤلاء الزعماء في تحديه ، بات أمرا غير وارد جملة وتفصيلا . ولن يكون هذا السر سوى الدور الذي عهد به فريق نيكسون - كيسنجر - إلى الشاه في الخليج ، أي اضطلاع إيران الشاهانية بمهمة ملء الفراغ الذي خلفه رحيل البريطانيين عن المنطقة . الأمر الذي ملأ نفس الشاه بالغرور والشعور المتضخم بالأهمية مضافا إليه ارتفاع أسعار البترول بسبب مضاعفة عائداته من الشاه بنفسه .

لقد تصادف أن يكون نيكسون الصديق القديم للشاه ، والرجل المعروف بعدائه الأيديولوجي للشيوعية ، وازدرائه للمعارضة الشعبية ، هو الذي يجلس في البيت الأبيض في واشنطن ، في الوقت الذي أعلن فيه رحيل البريطانيين عن الخليج ، وفي الوقت الذي أعلنت فيه المعارضة الشعبية للشاه برأسها من جديد .

وهنا طبق نيكسون وكيسنجر مذهبهما في الاعتماد على القوى الإقليمية الصديقة في الدفاع عن مصالح الغرب ، مقابل إمدادها بكل أسباب القوة . وبناء على ذلك راح نيكسون يشجع الشاه على الضرب بيد من حديد على أيدي المعارضين ، بل إنه تمنى أن تكون له قوة الشاه على قمع معارضي حرب فيتنام من الطلبة الأمريكيين . ومن ناحية أخرى فتح نيكسون وكيسنجر الورشة الحربية الأمريكية على مصراعيها أمام الشاه ، ليتمكن من القيام بدوره في الاستراتيجية الأمريكية الجديدة على الوجه الأكمل . وكانت تلك قمة أخرى ساهمت في تضخم ظهر النمر .

ومن جانبه تعجل الشاه النتائج فتطلع غازا نبة ، ولم يكن ذلك سوى اندفاعه إلى رفع أسعار البترول رغم معارضة كبار مستشاريه الاقتصاديين ، وعلى رأسهم رئيس وزرائه أمير عباس هوفيدا فكان رفع أسعار البترول مماثلة السهم الذي ارتد إلى صدر مطلقه .

لقد اعتقد الشاه أن المسألة الاقتصادية لا تعدو

● د. هنري كيسنجر ... كان للشاه دور رئيسي في استراتيجيته

● نيكسون ... مع الشاه عرض مسرحيته فانسحبت وتركتهما لأن بهما مفوكا يفطون

● جامشيد آموزجار ... الرجل غير المناسب في الظرف غير المناسب

أن تكون مسألة مال . وهو برفع أسعار البترول بنسبة ٤٠٠٪ ، كما حدث خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ في الشرق الأوسط ، سيضمن لإيران عائدات مالية تمكنها من الإسراع بخطتها الإنمائية . ومن شراء كل ما تحتاج إليه من أسلحة متطورة . لتصبح في غضون بضع سنوات القوة الخامسة في العالم بعد الولايات المتحدة وأوروبا الغربية والكتلة الشيوعية واليابان . وعليه فقد تجاهل حقيقة أن اقتصاد بلاده لن يستطيع استيعاب هذه الطفرة دون خسائر فادحة قد تؤدي به .

وبالفعل فقد أدى رفع أسعار البترول إلى إطلاق عوامل التضخم من عقالها ، وحدث رواج مصطنع ، خلق مناخا مناسبا للرشوة والسمسرة واستغلال النفوذ .

وهي أمور كان البلاط محورها جميعا . وعجلت التقلبات التي سادت سوق البترول الدولية على عدم استقرار السياسة الاقتصادية الإيرانية . فعدلت الخطة الخمسية التنمية أكثر من مرة ، وراح الحجم الهائل للإنفاق العسكري يؤثر أكثر فأكثر فتعرضت الخزانة العامة لإفلاس في السيولة النقدية ، وكعادة الحكام المستبدين ، لم يكن أمام الشاه في هذه الحالة التي أوصلت إيران إليها سياساته المرتجلة غير مطالبة الشعب بالتضحية ، ولم لا ؟ فالشعب قد أثرى دون أن يضحي بشيء ، على حد قول الشاه ، لصحيفة كيهان يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٧٦

تدشين الديكتاتورية

ودون أسباب سياسية مقنعة قرر الشاه في أغسطس عام ١٩٧٧ إقالة أمير عباس هوفيدا من رئاسة الحكومة ، وإسنادها إلى وزير الداخلية والبترول جامشيد آموزجار ، واعترافا من الشاه بخدمات هوفيدا أسند إليه منصب وزير البلاط .

والحق أن هذا القرار جاء مدويا وصادما على قلب أمير عباس ، لأنه شعر في أيام حكمه الأخيرة أن الشاه أثقل سفينة الدولة بالأعباء ، إلى حد أنه لم يعد قادرا على جرها ، ولأنه حاول الاستغناء ذات مرة دون جدوى ، فلم يكن أمامه للخروج من هذه الفخة سوى الموت ، وقد حكى لأحد أصدقائه ذات مرة أنه ما من ليلة يذهب فيها إلى سريره إلا يدعو الله أن يلقيه إليه .

وقد كان آموزجار على النقيض تماما من عباس هوفيدا ، فهو رجل يعطي الاقتصاد أولوية على السياسة ، وقد أحاط نفسه بمجموعة من الخبراء الشبان ، وأبعد عن دائرة مستشاريه كل السياسيين المخضرمين ، في الوقت الذي كان عباس هوفيدا يحرص فيه على الاتصال بالسياسيين من جميع الاتجاهات ، للمحافظة على مبدأ توازن القوى السياسية في الداخل ، وكان معروفا أن رئيس الوزراء المقال ، على صلة طيبة بغلام مصدق مجل رئيس الوزراء الراحل والزعيم السابق للجبهة الوطنية الدكتور محمد مصدق ، كما كان على صلة وثيقة بأحد الزعماء الدينيين ، وأخص ذكر اسمه الآن .

ولقد كانت هذه الصلات وصورة سياسة عباس هوفيدا إزاء المعارضة سببا رئيسيا وراء استبداله بآموزجار الذي لم يطالب الشاه ، مثل سلفه ، بالحوار مع المعارضة ، ولا بمكافحة الفساد المستشري داخل البلاط وفي حاشية الأميرات والأمراء .

إذن فكان المدلول السياسي لتولي جامشيد آموزجار رئاسة الحكومة في صيف عام ١٩٧٧ هو دعم سياسة القبضة الحديدية ، والتشدد في مواجهة المعارضة . لقد كان الأمر إذن تدشينا للحكم الديكتاتوري المتعنت

ومن الناحية الاقتصادية كانت سياسة حكومة

أمير أزهار أشد بالكارثة من حيث آثارها الاجتماعية . فلقد بدأت الحكومة عهدها ببرنامج تقشف صارم . ولكن في مجال الخدمات العامة والإنتاج فقط . ولم ينقص دولار واحد من ميزانية السلح . ولا من مخصصات الشاه . فازدادت وطأة التضخم على أفراد الشعب . وفي الوقت الذي كانت تختمر فيه المعارضة الدينية ، ألغى أمير أزهار الإعانات التي كانت تدفعها الحكومة للأئمة . والتي كانت تستخدم في تمويل مدارس تحفيظ القرآن والإنفاق على المساجد .

ولسوء الطالع قررت الحكومة بناء خط حديدي جديد في طهران غير الشرق . مساهمة منها في حل أزمة المواصلات . فغير التجار وهم من العناصر الاجتماعية ذات الوزن السياسي الهام في تاريخ إيران . هذا المشروع على أنه محاولة من جانب الشاه لتشتيت شملهم .

وكان ساعد المعارضة قد بدأ يشتد . فكانت السياسة الملائمة هي اللين والحوار . وكانت الظروف الاقتصادية قاسية بسبب سياسة الشاه . الخاطئة . فكان الأسب هو تخفيض الإنفاق العسكري ومكافحة الفساد . وكان رجال الدين وأتباعهم قد بدأوا يظهرون سخطهم علنا . فكان الأوفق هو التقريب بينهم لا تحديهم مباشرة عن طريق إلغاء الإعانات الدينية وإلغاء التقويم الهجري .

حقا كانت سياسة حكومة أمير أزهار هي بذرة عدم التوفيق . وكان رئيس الحكومة نفسه اضافي مثل غرض الشاه غير المفهوم على اختيار الرجل غير المناسب في الظرف غير المناسب .

جذور الأزمة

إذا كانت الأحداث الثلاث الرئيسية السابق ذكرها : إنفاق ميكسون كيسنجر والشاه ، ورفع أسعار البترول ، وتعيين أمير أزهار رئيسا للوزراء ، تفسر تفاقم أزمة النظام الملكي في إيران على عهد الشاه السابق محمد رضا بهلوي . فإن جذور الأزمة دائما تكمن في الطابع الديكتاتوري للنظام .

وكان الشاه ديكتاتورا حتى أخمص . ولقد تكونت القصة الثابتة التي تعبر عن حقيقة شخصية الشاه . فقد حكي أن وزير الصحة السابق أنه قرر القيام بحملة لإبادة الكلاب الضالة في أنحاء إيران . بعد أن تفاقم خطرها على الصحة العامة . ولكن كان عليه أولا أن يحصل على موافقة الشاه . فلم يحصل عليها بالفعل .

وقيل أن بداية الشك قوض الوزير بأمر ملكي بإرجاء التنفيذ . لأن الأميرة أشرف تحب الكلاب . ولا تطيق أن يراها تقتل تحت نظرها وبصرها . وعلق الوزير قائلا أن ينتظر حتى تغادر أشرف إيران إلى الخارج في زيارة مقررة . أو أن يتم بعد حفلة تتابع ليلة عيدها .

ولم يكن الشاه يفهم شخصية قبل أنها نظام للحكم فقط . إذ أن شخصيته هو أكثر من حاكم دون العرش على أتاه وسيورثه لأبنائه . ولكنه بالنسبة للشعب مرشد ومعلم . بل إنه كما كان يرأس السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية . فكان محمد رضا بهلوي

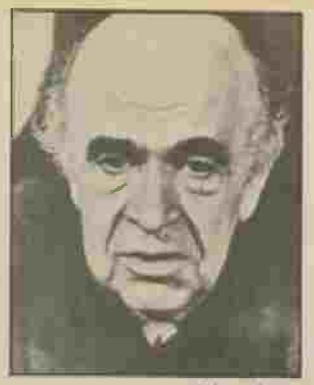

عباس هويدا .
قبل يرأس الحكومة من عام ٦٥ - ١٩٧٧ .

قد جاء بعد ثلاثة قرون من الزمان . أي بين الثورات والدماء ، ليحاكي لويس الرابع عشر في فرنسا المشهورة ، أنا الدولة .

وكان من نتائج ذلك أنه لم تكن في إيران يوما ما حكومة واحدة . ولكن كانت هناك دائما عدة مراكز للنفوذ . لعل أضعفها هو الحكومة الرسمية . وكان كل مركز من مراكز النفوذ ذلك على اتصال مباشر بالشاه . حتى إنه كان على اتصال بالوزراء مباشرة متجاوزا رئيس حكومته .

وكان أسد الله علام وزير البلاط حتى عام ١٩٧٧ مثلا يتخذ قرارات اقتصادية خطيرة استنادا إلى وضعه في القصر الملكي . وكذلك الحال بالنسبة للدكتور إقبال مدير الشركة الوطنية للبترول . وأما الجيش فكان مستقلا عن الحكومة بدوره . وكان هو والسياسة الخارجية ملكي خالصين للشاه . أما البرلمان فحدث ولا حرج . بالرغم من تعيينه أحيانا رئيس الوزراء .

وترتيبا على ذلك الوضع كان مستحيلا التنسيق على الوجه النشاط المتعددة داخل البلاد . بل يمكن القول إن إيران كانت تعيش عصرا إقطاعيا فريدا من نوعه . هو عصر الإقطاعيات السياسية المستقلة . ويكفي مثلا أن نعرف أن التاج كانت تتلقى على المظاهرين دون علم رئيس الحكومة . وان رئيس الحكومة (هويدا) لم يعرف شيئا عن تدخل الجيش الإيراني في عمان إلا من وكالات الأنباء العالمية مثله مثل أي فرد آخر في العالم ؟ !

وكان الشاه من جانب يضيق أشد ما يكون الضيق إذا عبر أحد – ولو من أخلص خلصائه – عن عدم استحسانه لقرار ما اتخذه هو . ولو لم يصل الأمر إلى حد المعارضة . من ذلك أنه لرئيس أركانه الجنرال دعام عام ١٩٧١ لأنه انتقد خطط الشاه لتحديث العسكري مع انخفاض في ذلك الوقت

وكان القمع بكافة صوره المعارف عنيفا ترتبا هو أسلوب الشاه المفضل في التعامل مع خصومه ومعارضيه السياسيين . في عصر تلقى فيه على أن المعارضة في السياسة لا تعني الخصومة . وكان السافاك أداة الشاه في القمع يتلقى الأوامر منه مباشرة . وقد خضع هذا التنظيم الشيطاني في تسعير حياة الإيرانيين من قبل الجميع إلى قاعدة :

فلم يكن أحد يجرؤ على الحديث عن خواطره علنا . أما عن الاعتقال وانتهاك الحريات المدنية والتعذيب والقتل سرا . فقل ما شئت . لا سيما إذا عرفت أن الشاه لا يرى في الخصوم السياسيين أكثر مما يراه في السفاحين ومهربي المخدرات الذين أصدر لهم جميعا قانونا يقضي بالإعدام الفوري على كل من ثبتت عليه التهمة . ولكن بوسائل الإثبات المتعارف عليها في كوالبس السافاك .

أما القيود الرسمية على حرية التعبير . لا عن التفكير فحسب ولكن التعبير الفني أيضا . فكانت لا مثيل لها في أي وقت وأي مكان . ويكفي أن نعرف أن الرقابة كانت تمنع تداول عرض مسرحيتي هاملت وماكبث لشكسبير . لأنهما تتضمنان مشاهد يقتل فيها ملوك وأمراء . لكي تدرك مدى حمق النظام .

وكان كل ذلك يحدث في الوقت الذي تركم فيه رائحة الفساد العطنة والتي يخرج جزء كبير منها من القصور الملكية . كل أنحاء في إيران . ويمكني أن أقول دون تجن إن كل حكومة تشكلت في إيران طوال الخمسين عاما الماضية جعلت مكافحة الفساد أول بند في برنامجها . ولكن دون جدوى . بسبب عدم مساندة الشاه لجهود الحكومات . بل عرقلته لتلك الجهود في بعض الأحيان . ولا يعني هذا أن كل وزراء وزارات الشاه ووزرائه كانوا يتصفون بالنزاهة .

وربما كان موقف الشاه من هذه القضية يفسره أن أسرته كانت هي المصدر الأكبر للثروات الذي أصاب كل فئات المجتمع الإيراني بحمى الفساد . فقد كان الأمراء والأميرات يتدخلون بالوساطة والسمسرة وأخذ العمولات في كل عقد يبرم بين الدولة وبين أية جهة محلية أو أجنبية لتنفيذ المشروعات العامة . وكانوا يديرون شركات وأعمالا تدر عليهم أرباحا طائلة عن طريق استغلال النفوذ الخارج .

وكم مرة هربت الأميرة أشرف مخلفين إلى الخارج . أشياء كانوا شركاءها . وقد تلقى أخي عباس هويدا وهو رئيس الوزراء أمرا منها ذات مرة بهذا المعنى . وكشف تحقيق أجراه مجلس الشيوخ الأمريكي عن أن زوج الأميرة أشرف . وكان يشغل قائد سلاح الطيران . وأيضا . قد حصلا على مبالغ ضخمة كعمولة رشاوى لتحرير عدد من الصفقات مع شركات أمريكية . أما رئيس أركان القوات الجوية الأدميرال رحيمي عطائي فقد حصل على عمولات تقدر بثلاثة ملايين دولار من عقود تسليح أبرمها مع الشركات الأجنبية .

وفي عام ١٩٧٧ منحت وزارة الصحة طبيب الشاه الخاص حق احتكار استيراد الدواء وتصنيعه محليا . وتم القضاء على مشروع لإنشاء مستشفيات عامة عن طريق بنك بوسي خصيصا لهذا الغرض . عقابا للأطباء . لأمر الشاه نفسه . وذلك بسبب تدخل الأمراء والأميرات الذين حصلوا على توزيع عقود البناء على أصدقائهم نظير عمولات ضخمة .

وقد وصل الأمر إلى حد بيع وصفات المدارس الخاصة في الأسواق دون حرف من جانب أو ريب

ويقول كاتب أمريكي إن الشاه نفسه لم يكن فوق مستوى الشبهات في هذه التصرفات الصغيرة . رغم أن أموال إيران كلها كانت تحت تصرفه . وقد أنشأ الشاه مؤسسة بهلوي لتكون بمثابة ستر لإثراء أفراد أسرته بطريقة غير شرعية على حد تعبير هذا الكاتب الأمريكي .

وكان الشاه هو نفسه الذي رتب عملية تهريب أحد أصدقائه المقربين عليهم في سويسرا بتهمة تهريب المخدرات . وتم ذلك في طائرة الشاه الخصوصية . وحررت تلك الواقعة في وقت كانت حكومة إيران تقوم فيه بحملة على مهربي المخدرات . ليس هذا فحسب بل إن الأمير محمود رضا الذي اختكر زراعة الخشخاش في مزارعه كان المصدر الأكبر لتجارة المخدرات المهربة في إيران .

ومما ضاعف من سخط الشعب على أسرة بهلوي انهيار الجانب الأخلاقي الديني لديها . فلم ينس الشعب المتدين أن الشاه بنفسه كان وراء إعداد جزيرة كيش في الخليج مكانا للهو والخلاعة . فأقام فيها نوادي للقمار ومراكز لبيع المتعة المحرمة . عن طريق استيراد البغايا بالطائرة من فرنسا من بنات مدام كلود الشهيرة في باريس . وذلك كله بحجة تشجيع السياحة .

وكان الإيرانيون يتابعون بسخط بالغ أنباء حساب الأميرة أشرف على موائد القمار في أوروبا . وزاد من سخطهم السلوك الماجن الذي كانت تسلكه الأميرة شمس أشقاء الشاه دائما في الغرب . والتي قيل إنها تحولت إلى الكاثوليكية .

أما الشاه فهو من جانبه لم يحرص على مراعاة المشاعر الدينية لشعبه . فمرة أنه لم يذهب مرة واحدة لأداء الصلاة في أية مناسبة دينية وسط رجال الدين وأفراد الشعب في أحد المساجد العامة .

لقد أسفرت كل تلك الأخطاء عن استفزاز المعارضة ورجال الدين . وإقناعهم بأن لا أمل في التفاهم مع مثل هذا النظام . كما أسفرت عن تدهور الأوضاع الاقتصادية . واستثارة الأعداء للشاه في الداخل والخارج على السواء .

ولكن أخطر تطور شهدته الساحة السياسية في إيران في الأونة التي سبقت سقوط الشاه . كان هو ظهور فكر سياسي إسلامي عصري على يد علي شريعتي أستاذ علم الاجتماع في جامعة مشهد . الذي اختفر ما في التراث الشيعي من مقومات للحكم العادل والنضال في سبيل الحرية ومكافحة الاستغلال . واحياء الطابع الثوري الأصيل في الإسلام على الوجه المستهدف في سبيل ذلك .

وكان هذا العامل الجديد هو الذي استقطب وحدة الجميع للطلاب الذين كانوا وقود الثورة . ثم انضم سائر الإيرانيين بعد أن شق الشاه بنفسه طريقه إلى الهاوية .

وثمة أخرى ما كان الشاه ليكتفي عن طريق الإصلاح الذي بدأه ويسير في طريق الهاوية أولا أن شخصيته نفسها كانت قد تطورت بطريقة مرضية . وهذا هو موضوع الحلقة التالية .